قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (علم السرد) السنة أولى ماستر، تخصص:نقد حديث ومعاصر

إعداد الدكتورة:دلال فاضل

المحاضرة رقم: 03

يوم: 2021/04/24

عنـــوان المحاضرة: السرد عند رولان بارث

رولان بارث والتحليل البنيوي للسرد:

أسهم **رولان بارث *Roland Barthes*** (1915- 1980) بشكل حاسم في توجيه المسار النقدي في النصف الثاني من القرن العشرين، إذ يعد مرجعا أساسيا لا يمكن تجاوزه أثناء كل حديث عن النقد عموما ونقد السرد تحديدا، رغم انصرافه المبكر عنه بوصفه من أبرز المنظرين البنيويين للنص السردي، إذ كانت طروحاته من أهم الدراسات المؤسسة للسرديات كونها "فرع معرفي يحلل مكونات وميكانيزمات المحكي، ولكل محكي موضوع إنه يجب أن يحكي عن شيء ما، هذا الموضوع هو الحكاية، هذه الأخيرة يجب أن تنقل إلى المتلقي بواسطة فعل سردي هو السرد، السرد والحكي مكونان ضروريان لكل محكي". وبهذا قدمت السرديات مساءلة لمكونات السرد متجاوزة ما طرحه النقد الروائي الذي يعنى

بمضامين النص وبجدلية مرجعياته– من منظور حداثي مؤسس على تحليل بنيات النص ووصفها.

وبهذا أحدثت السرديات قفزة نوعية في مجال قراءة النصوص ودفعت الخطاب النقدي إلى الاشتغال على أحدث الإجراءات النقدية؛ ويمكن القول بأنها تمثل "البعد المنهجي لمختلف التحاليل النظرية التي تتعلق بالخطاب السردي، وهذا ما يثبت ارتباط[ها] بتحليل الخطاب وانخراطها في صوغ مقترح نظري للبحث في مكونات السرد وطرائق تشكل أنساقه". فاهتمت بجملة من القضايا لتحليل مكونات السرد: كالوظائف والعوامل، الفواعل وفضاء المكان والزمان، الراوي والمروي له، وجهة النظر...

ولا شك أن المنهج في أبعاده المعرفية والنظرية وأدواته الإجرائية يشكل ضابطا منهجيا للعملية النقدية أثناء تحليل مكونات السرد؛ هذا التحليل الذي يميز بين نوعين من السرديات أولهما يعرف بالسيميائيات السردية "وينشغل تحديدا بسردية القصة، من خلال دراسة المضامين السردية بقصد الوقوف على البنيات العميقة، والكليات المعروفة والتي تتجاوز الجماعات اللسانية، وقاعدة الانطلاق هنا هي أن نفس الحدث بإمكانه أن يكون مقدما عبر وسائط متباينة، ومن ممثلي هذه النحو من الدراسة: بروب، بريمون، غريماس". يؤكد هذا القول أن طموح هؤلاء يتحدد في تحليلهم الحكاية ومقاربتهم المضامين السردية وهذا ما يعرف بالسرديات الموضوعاتية.

أما النوع الآخر من السرديات "فيتخذ موضوعا لدراساته ليس القصة، بل الخطاب؛ الخطاب من حيث هو طريقة نوعية لتشخيص القصة لفظيا، ومن حيث هو طريقة نوعية لظهور السارد كذات للتلفظ، وأخيرا من حيث هو الذي يجعل السرد ممكنا معينا وقابلا للتحليل، هذا الاتجاه يدرس العلائق القائمة بين مستويات الخطاب والقصة والحكي". من رواد هذا التوجه: **تودوروف، بارث، جنيت**... الذين يهتمون بتحليل السرد كصيغة لتشخيص القصة، ويعرف هذا النوع بالسرديات الشكلية أو الصيغية، فالاختلاف بين النوعين يؤكد تعدد المداخل العامة للسرديات.

اتجه **رولان بارث** إلى تشكيل خطاب نقدي يشتغل على التنظير للسرد مستلهما بعض الطروحات السابقة في مجال نقد السرد من أجل تطوير التحليل البنيوي من الداخل وصياغة تصور يضبط الإجراءات الواجب إتباعها أثناء المحكيات؛ فكان مقاله المنهجي "مقدمة في التحليل البنيوي للسرد" المنشور في العدد الثامن من مجلة تواصلات *Communication* سنة 1966 بمثابة البيان النقدي الذي ضمنه نموذجا وصفيا لمقاربة مكونات النص السردي، فلهذه الدراسة أهمية كبيرة كونها "تضع الأسئلة والأسس التي ستهتم الأبحاث اللاحقة ببلورتها وتوسيع إجراءاتها". ناهيك عن اعتمادها على الأبحاث اللسانية، واتخاذ اللسانيات كنموذج علمي مؤسس لاستثماره في فهم بنية المحكي، وبهذا أحدث قطيعة مع النقد الكلاسيكي، قد أعلن **رولان بارث** في هذا السياق عن اتكائه على اللسانيات واهتمامه بها، إذ يقول: "يبدو من المعقول اتخاذ اللسانيات نفسها نموذجا مؤسسا للتحليل البنيوي للسرد". وانطلاقا من هذا فقد اختار الناقد منحى لسانيا لصياغة رؤيته الجديدة للقصة ومستوياتها

ويؤكد على أهمية اللسانيات وعلى الإفادة التي تمنحها للدراسات النقدية، قائلا: "ومنذ البداية تقدم اللسانيات للتحليل البنيوي للسرد تصورا حاسما، وهي تكشف بسرعة عما هو جوهري في كل نسق للمعنى، أي تكشف عن تنظيمه". ولتعزيز فعالية اللسانيات وخصوبتها وكفاءة الأدوات الإجرائية المرتكزة عليها، ناقش طروحات: **إيميل بنفنيست** *Emile Benveniste*، **زليغ هاريس** *Zellig Harris*، ... المتعلقة بتحليل الخطاب.

في هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن مباحث اللسانيات عموما كان لها الدور العميق في توجيه مسار السرديات، بدءاً بدراسات: **رومان جاكبسون** *Roman Jackobson* – ذات المنحنى البويطيقي– للخطاب الشعري، وصولا إلى أبحاث الفلكلوري **فلادمير بروب** في مجال السرد مرورا بدراسات الأنثروبولوجي **ليفي شتراوس** عن الأساطير. فمنهجيا تطورت السرديات من اللسانيات البنيوية؛ وبالتحديد لسانيات الخطاب بوصفها تجاوزت حدود الجملة التي كانت موضوع اللسانيات.

ويمكن أن نلاحظ هنا أن **رولان بارث** انطلق من "التشابه الشكلي بين الجملة والخطاب كفرضية للعمل [....] فالخطاب عنده جملة طويلة والجملة خطاب قصير، وكما تتعدد مستويات الجملة، تتعدد مستويات الخطاب".

وبعد أن ينتهي الناقد من تحديد منطلقاته الأساسية لتحليل الحكي اقترح نموذجا نقديا بهدف الكشف عن القوانين التي تحكم في الظاهرة السردية، حصره في ثلاث مقولات أساسية: الوظائف، الأفعال والسرد يجب التمييز بينها أثناء التحليل؛ وفي هذا المعنى يقول: "نقترح أن نميز في المؤلف السردي بين ثلاثة مستويات للوصف هي: مستوى الوظائف

(بالمعنى الذي تحمله هذه الكلمة لدى بروب وبريمون) ومستوى الأفعال، (بالمعنى الذي تحمله هذه الكلمة لدى غريماس عندما يتحدث عن الشخصيات كعوامل ومستوى السرد "وهو يشبه إلى حد ما مستوى الخطاب لدى تودوروف")". ربما نستطيع أن نقول من خلال هذا الاقتراح أن المستوى الأول مرتبط بالمستوى الثاني لأنهما متصلان بمادة الحكي، أما المستوى الثالث مستوى السرد متعلق بطرائق الحكي.

ويضيف **رولان بارث** مؤكدا بأن هذه المستويات الثلاثة "ترتبط فيما بينها تبعا لصيغة إدماجية متتالية، فليس لوظيفة ما من معنى ما لم تجد لها مكانا في الفعل العام لعامل ما، وهذا الفعل نفسه يستمد معناه الأخير من كونه مسرودا وموكولا إلى خطاب له سننه الخاص" تعد هذه المقولات العلامات المضيئة في تصور **رولان بارث** النقدي وللاقتراب من دلالاتها نوجزها على النحو الآتي:

أ- مستوى الوظائف:

عني **رولان بارث** بمفهوم الوظيفة *fonction* الذي يتفق وتصور **بروب وبريمون** النقدي في علم السرد الحديث، إذ جعل تقطيع السرد أولى خطواته المنهجية وذلك بغية تحديد أصغر الوحدات السردية، فهو يقول: "فيجب علينا أولا تقطيع السرد وتحديد مقاطع الخطاب السردي" للكشف عن الوحدات أو الوظائف أثناء التحليل، ويؤكد في هذا السياق على أن المعنى هو أساس تحديد الوظائف، إذ يرى بأن من البداية "ينبغي أن يكون المعنى هو معيار تلك الوحدة والطابع الوظيفي لبعض مقاطع القصة هو الذي يصنع الوحدات". فالمعنى هو معيار بناء القصة.

وقد أسهم **رولان بارث** في إضاءة مفهوم الوظيفة في مقاله السابق ذكره عندما بيّن بأن الوظيفة "من وجهة نظر اللسانيات هي وحدة مضمون: فما يريد أن يقوله ملفوظ ما هو يؤلف وحدته الوظيفية، وليس الطريقة التي قيل بها، هذا المدلول التأليفي يمكن أن يكون له مدلولات مختلفة جدُ خادعة في الغالب،... فالوظائف ستكون ممثلة تارة بوحدات أكبر من الجملة (المركب، الكلمة، وحتى داخل الكلمة نفسها يقتصر على بعض العناصر الأدبية (من مجموعات جمل ذات أطوال مختلفة قد تغطي العمل الأدبي برمته)". فالوظائف بهذا المعنى وحدات صغرى تتألف منها المحكيات، إذ إن كل وحدة ذات وظيفة ومعنى أيضا. كما أن الوظائف إما أن تكون مقاطع كاملة أو جزئيات لفظية تجتمع لتكون الخطاب السردي. بمعنى أنه "لا يحصر الوظيفة في الجملة، فقد تقوم كلمة واحدة –في نظره– بدور الوظيفة في الحكي إذ ما نظر إليها في سياقها الخاص". ثم يعلن الناقد عن ضرورة الاهتمام بعلاقة الوظائف في العمل السردي.

وبعد أن يضع مفهوما للوظيفة يبحث في منطق توزيعها وفي هذا المعنى يقول: "يجب توزيع أصغر الوحدات الوظيفية إلى عدد صغير من الأصناف الشكلية... [...] نحصل على صنفين كبيرين من الوظائف: وظائف توزيعية، وأخرى إدماجية". ميز **رولان بارث** بين صنفين اثنين من الوحدات الوظيفية:

ب- الوحدات التوزيعية *Unités Distributionnelles*

هي وحدات "تتطابق مع الوظائف التي وضعها بروب، والتي كان بريمون من بين من أعادوا طرحها". فإذا ذكرت وظيفة من الوظائف حتما ستذكر وظيفة أخرى كردة فعل كما أنها تقابل الحوافز عند **توماشفسكي:** فرفع السماعة مثلا مرتبط بلحظة وضعها ...وهكذا فالوظائف محكومة بعلاقات فيما بينها.

ج- الوحدات الإدماجية *Unités Intégratives*

هي وحدات مغايرة تماما للوحدات التوزيعية كونها تشتمل على "كل القرائن (بالمعنى العام للكلمة)، والوحدة تحيل عندئذ ليس على فعل تكميلي، أوتال لسواه، بل على تصور سائد بهذا القدر أو ذاك ولكنه ضروري مع ذلك (لفهم) معنى القصة: قرائن طباعية تتعلق بالشخصيات، معلومات متصلة بهويتها وإشارات عن الجو والمناخ الخ.". وهكذا تغدو العلاقة بين الوحدة وبين المتعالق معها علاقة إدماجية ليست بالتوزيعية لأنها لا تتطلب علاقات، كما أنها تحيل فقط على مفهوم معين في سياق المحكي بناء على القرائن *Indices* المرتبطة بالوحدات استعاريا، لذلك سميت الوحدات التوزيعية وظائف وسميت الوحدات الإدماجية علامات.

ويذهب **رولان بارث** إلى أنه "ينبغي الانتقال إلى مستوى أعلى (أفعال الشخصيات) أو السرد" لمعرفة دور الوحدات الإدماجية؛ أي ينتقل إلى أفعال الأبطال مؤكدا أن هذه الوحدات ذات طبيعة استبدالية *paradigmatique*، في حين الوحدات التوزيعية ذات طبيعة نظمية

تركيبية *syntagmatique*. فالصنفان معا يسمحان "بإقامة تصنيف للسرود". فهناك سرود شديدة الوظيفة كالخرافات الشعبية وسرود شديدة القرينة كالروايات السيكولوجية.

ويميز **رولان بارث** بين نوعين من الوظائف الوظائف الأساسية –النوى– *cardinal fonctions* وبين الوسائط *catalyses*، فالنوع الأول يمثل العناصر المركزية للنص السردي، وتكون متتابعة ومنطقية في نفس الآن مما يجعل دورها عميقا في المحكي لأنها تمثل لحظات مجازفة في السرد. في حين أن الوظائف الوسيطة تقوم بدور ضعيف في المحكي، ذات وظيفة خطابية تسرع وتبطئ الخطاب، تتوفر على مناطق أمن وراحة، ولعل الوظيفة الثابتة للوسيطة حفاظها على الاتصال بين السارد والمسرود له".

كما يقسم الوحدات الإدماجية إلى قسمين مختلفين، فيقول: "نميز بين القرائن بمعناها الخاص، أي التي تحيل على طبع أو شعور أو جو ومناخ، أو على فلسفة وبين المعلومات التي تستخدم لتحديد وتعيين (الوحدات السردية) في الزمن والمكان". فلكل قسم وظيفة محددة في السرد؛ يقوم القسم الأول بوصف المشاعر والصفات المتعلقة بالشخصيات ويقدم القسم الثاني معلومات عن مكان وزمان وقوع الأحداث. بعد تحديده لهذه التقسيمات يتجه **رولان بارث** للبحث عن قواعد التوليف الوظيفي باحثا عن إجابة لسؤاله المنهجي، كيف، ووقف أي قواعد ترتبط هذه الوحدات المختلفة؟

كما ناقش قضية الزمن/ المنطقي في المحكي وانتهى إلى أن كلا من **شتراوس غريماس، بريمون، تودوروف**، أهملوا الطابع الكرونولوجي للمحكى في أبحاثهم، وتبنوا الطابع المنطقي، وأكد بأن الزمنية "ليست سوى مستوى بنيوي من مستويات السرد (أي

الخطاب) ومثلما هو الشأن في اللغة، فالزمن لا يوجد سوى في شكل نسق، وما نسميه من وجهة نظر السرد بالزمن لا وجود له أو لا يوجد على الأقل إلا وظيفيا، أي باعتباره عنصرا من عناصر نظام سيميائي،... فالسرد واللغة لا يعرفان سوى زمن سيميولوجي، أما الزمن الحقيقي، فهو وهم مرجعي أو واقعي". في هذا السياق يحيل على **بريمون، بروب غريماس، تودوروف، شتراوس**، مناقشا طروحاتهم.

د- مستـــوى الأفعـال *Les Actions*

تتحدد في هذا المستوى الأعمال المنجزة في الخطاب السردي حيث يتم تعيين أفعال الفاعلين أو الأفعال التي تقع على مفعول به، إذ إن الفاعل والمفعول به في النص السردي شبيه بالفاعل والمفعول به في التحليل النحوي للجملة، وبهذا يكون الاهتمام منصبا على الفعل لا على الشخص أي الفاعل، ويمكن القول بأن الاهتمام بالفعل يؤكد أطروحة الاستغناء عن الشخصية، ناهيك عن أن مفهوم الفعل قد تطور عن مفهوم **بروب** للوظيفة.

حاول **رولان بارث** في هذا السياق استظهار تطور النمذجات المتعلقة بالشخصية عند المنظرين على اختلافها بدءا بموقع الشخصية في الشعرية الأرسطية بوصفها مفهوما ثانويا وانتهاءً بمناقشة طروحات المنظرين الحداثيين ممن عالجوا مقولة الشخصية، ك: **بروب توماشفسكي، تودوروف، كلود بريمون وغريماس**، مشيرا إلى انطلاق **تودوروف** من العلاقات وليس من الشخوص في تحليلاته لرواية "العلاقات الخطيرة" للكاتب الفرنسي **بيير دي شودر لولاكلو** الصادرة سنة 1782 في أربعة مجلدات مؤكدا في الأخير بأن **غريماس** يهتم بالشخصية السردية بحسب ما تعمله، وهذا مسوغ لتسميتها بالعوامل، ويبين أن ترسيمة

غريماس المولدة للعوامل قد تناولها **تودوروف** من منظور مختلف. ثم يعلن الناقد عن كيفية النظر إلى الشخصية السردية من منظور التحليل البنيوي الذي تجاوز التصور السيكولوجي للشخصية (كائنا) بل يتعامل معها بوصفها مشاركا، وينظر إليها "انطلاقا من إسهامها داخل حلقة من الأفعال". أي دراسة الشخصية من حيث مشاركتها في مستوى الأفعال.

ويذهب **رولان بارت** إلى أبعد من ذلك من خلال استعانته باللسانيات لتحديد مستوى الأفعال "بهدف التمكن من وصف وتصنيف مستوى الضمير الشخصي (أنا/أنت) أو اللاشخصي للفعل (هو)". ويؤكد على ضرورة دمج مستوى الأفعال "داخل المستوى الثالث للوصف الذي نسميه هنا مستوى السرد (مقابل مستوى الوظائف، ومستوى الأفعال)". بغية تحديد معنى للشخصيات بوصفها وحدات لمستوى الأفعال.

هـ- مستـوى الســرد *La Narration*

يعمق **رولان بارث** نموذجه التحليلي بمعالجته السرد بوصفه "النشاط السردي الذي يضطلع به الراوي وهو يروي حكاية ويصوغ الخطاب الناقل لها". يرتبط السرد بالمستوى اللغوي في النص الموزع بين قطبين أساسيين الراوي والمروي له *narrataire/narrateur*. يؤمن **بارث** بأهمية السرد الذي ربطه بوجود الإنسان نفسه، ويرى بأنه ينطوي على وظيفة تبادلية بين طرفي النص السردي ولا يمكن أن يوجد دون سارد ودون مسرود له، ويؤكد بأن القضية الأساسية في السرد متعلقة بـ "وصف السنن الذي يدل من خلاله كل من السارد والقارئ على امتداد السرد ذاته". وفي هذا السياق يشير إلى أن هناك علامات للسارد وعلامات للمسرود له. تكون علامات السارد أكثر قابلية للرؤية، وأكبر عددا من علامات

المسرود له. يهتم **رولان بارث** بعلامات السرد طارحا سؤالا منهجيا: من هو المانح للسرد؟ وفي سياق إجابته عن هذا السؤال قدّم ثلاثة تصورات:

– التصور الأول: يرى بأن السرد يرسله شخص بالمعنى النفسي للكلمة، ويحمل هذا الشخص اسما، إنه المؤلف.

– التصور الثاني: تصور يجعل من السارد يبث قصته من وجهة نظر أعلى، فالسارد في الوقت نفسه داخلي بالنسبة لشخصياته.

– التصور الثالث: يعد أحدث التصورات، تجلى مع **هنري جيمس وسارتر**، يلزم السارد بأن يجعل سرده محدودا عند حدود ما تستطيع الشخصيات ملاحظته.

يقدم **بارث** نقدا لهذه التصورات كونها تتصف في مجملها بضيق الأفق إذ إنها تنظر للسارد والشخصيات كأشخاص حقيقيين. تأسيسا على هذا يرى أن الشخصيات في جوهرها "كائنات من ورق وأن المؤلف المادي لسرد ما، لا يمكن أن يلتبس في أي شيء آخر مع سارد هذا السرد". أي يؤكد على ضرورة التميز بين الراوي والكاتب، فالسارد عامل لا علاقة له بالمؤلف الحقيقي، علاماته محاثية للسرد، وبالتالي فهي قابلة للتحليل السيميولوجي.

ويشير إلى أن هناك مؤشرات تعلن عن المؤلف وتضمن له إقامة علاقة إشارية بينه وبين لغته؛ علاقة "تجعل من المؤلف ذاتا مكتملة، والسرد تعبيرا أدواتيا عن ذلك الاكتمال". وبهذا يصنع فروقا جوهرية بين المؤلف، السارد والشخصية، ويشبه **رولان بارث** السرد باللغة مرهون بنظامين من العلامات هما: الشخصي *personnel*، وغير الشخصي *a personnel*

المراجع المعتمدة:

1- رولان بارث: التحليل البنيوي للسرد، تر: عبد الحميد عفار وآخرون، طرائق تحليل السرد الأدبي.

2- زيتوني، لطيف وآخرون: آفاق النظرية الأدبية المعاصرة، بنيوية أم بنيويات.

3- جنيت، جيرار وآخرون: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى.

4- عبد الحميد، عقار: مقدمة كتاب طرائق تحليل السرد الأدبي.

5- عبد الفتاح، الحجمري: مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية.

6- لحمداني، حميد: بنية النص السردي.

7- محمد، القاضي وآخرون: معجم السرديات.

8- يقطين، سعيد: تحليل الخطاب الروائي.